توضيح البرهان
في الفرق
بين الإسلام والإيمان

مرعي يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي
المتوفى سنة ١٠٣٣ للهجرة
تحقيق الدكتور سامي مكي العاني

بسم الله الرحمن الرحيم

نبذة عن المؤلف والكتاب

المؤلف:ـ

هو العلامة الشيخ مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن احمد الكرمي المقدسي الحنبلي.

ولد في طور كرم بفلسطين فلقب بـــ(الكرمي)، وانتقل الى القدس ثم الى القاهرة فاســتقرّ فيها الى وفاته في ربيع الأول من سنة ١٠٣٣هـــ ـــ ١٦٢٤م.

عرف بين أهل زمانه بأحد أكابر علماء الحنابلة، وكان إماما محدثاً فقيهاً، ذا إطلاع واسع على نقول الفقه ودقائق الحديث، ومعرفة تامة بالعلوم الشرعية المتداولة.

تصدر للإقراء والتدريس بالجامع الأزهر، ثم تولى المشــيخة بجــامع الســلطان حســن بالقاهرة.

أخذ العلوم عن أشهر علماء عصره في الفقه والتفسير والحــديث أمثــال الشــيخ محمــد المرداوي، والقاضي يحيى الحجاري، والشيخ محمد الحجاري، والشيخ احمد الغنيمي.

مؤلفاته:ـ

تجاوزت مؤلفاته السبعين كتاباً لم يُطْبَعْ منها إلا القليلُ، تبحث فيعلوم مختلفــة فــي علــوم القرآن الكريم وتفسيره، والحديث الشريف وعلومه، والتأريخ والسير والأدب والشعر.

ومن مصنفاته المطبوعة:ـ

١ـــ بديع الإنشاء والصفات في المكاتبات والمراسلات، يعرف بإنشاء مرعي. طبع مراراً في مصر وتركيا أبتداء من سنة ١٢٠٩هـــ.

٢ـــ دليل الطالب لنيل المطالب على مذهب الإمام احمد بن حنبل. بيروت ١٩٨٥م.

٣ـــ غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى. فقه حنبلي. دمشق ١٩٧٢م.

٤ـــ الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة. بيروت ١٩٧٥م.

٥ـــ الكواكب الدرية في مناقب الإمام أبن تيمية. مصر ١٣٢٩هـــ.

ومن مصنفاته المخطوطة:ـ

١ـــ أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات. أوقــاف بغداد. والظاهرية/ دمشق.

٢ـــ بهجة الناظرين وآيات المستدلين ـــ اوقاف بغداد.

٣ــ توضيح البرهان في الفرق بين الإسلام والإيمان ــ جامعة تورنتو ــ كندا.

٤ــ توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين. الظاهرية بدمشق.

٥ــ دليل الطالبين وكلام النحويين ــ جامعة السليمانية والفاتيكان.

٦ــ رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر. المكتبة الوطنية/ تونس.

٧ــ شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور. المكتبة الوطنية/ تونس.

٨ــ قلائد المرجان في الناسخ والمنسوخ من القرآن. دار مخطوطات البحرين.

٩ــ مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على النسب ــ المكتبة الوطنية/ تونس.

١٠ــ مناقب الأئمة الأربعة ــ المكتبة الوطنية/ تونس.

ومن مصنفاته التي حفظت أسماءها مصادر ترجمته، ولم أستطع الوصول إليها وربما لم تصل إلينا.

١ــ أرواح الأشباح في الكلام على الأرواح.

٢ــ ديوان شعرهِ.

٣ــ رياض الإزهار في حكم السماع والأوتار.

٤ــ منية المحبين وبغية العاشقين.

الكتاب.

موضوعه:ـ

عنوان الكتاب يدل على فحواه، فهو رسالة حاول كاتبها أن يبين حدود كل من الإسلام والإيمان لئلا يخلط بعض الناس بينهما.

فهو عرف بهما ووضح المقومات والشروط والحدود لكل منهما مدعماً رأيه بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية وأقوال الفقهاء والعلماء مع مناقشة بعض الآراء.

موارده:ـ

اعتمد الكرمي عدة موارد بعد القرآن الكريم يغلب عليها كتب الحديث الشريف ــ وهو يصرح بأسمائها أو بأسماء مؤلفيها حين يستشهد بنصوصها وهذه المصادر هي:ــ

١ــ التحرير في شرح صحيح مسلم. للتيمي الأصبهاني الشافعي.

٢ــ شرح صحيح البخاري لأبن بطال القرطبي مطبوع.

٣ــ شرح صحيح مسلم للنووي ــ مطبوع.

٤ــ شرح مقاصد الطالبين ــ سعد الدين التفتازاني ــ مطبوع.

٥ــ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني، مطبوع.

٦ــ معالم السنن ــ للخطابي، مطبوع.

٧ــ المقدمة ــ معرفة أنواع الحديث لابن الصلاح الشهر زوري، مطبوع.

وصف المخطوطة:ـ

اعتمدت في التحقيق نسخة صورتها عن الأصل المخطوط في مكتبة جامعة تورنتو في كندا تحت رقم (٧٤٤٨٥) عربية، وهي:ــ

١ــ مكتوبة بخط النسخ الضعيف الذي تصعب قراءته.

٢ــ ليس في النسخة ما يدل على إن ناسخها اعتمد أكثر من نسخة أو قابلها بنسخة أخرى.

٣ــ ليس فيها سماعات أو تملكات أو تعليقات.

٤ــ والنسخة قديمة غير مؤرخة وليس فيها اسم ناسخها.

٥ــ يسهل الناسخ الهمزات الوسطية، ويحذفها اذا كانت متطرفة. ويهمل التنقيط في كثير من الكلمات.

٦ــ عدد صفحاتها ١٤ صفحة. في كل صفحة ٢٥ سطراً، ويبلغ متوسط كلمات السطر ١٥ كلمة.

٧ــ ونص ما جاء في صفحة العنوان هو:ــ

هذا كتاب توضيح البرهان في الفرق بين الإسلام والإيمان تأليف العلامة المفيد الاوحد الفريد مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي، رحمه الله آمين.

والى الجانب الأيسر من العنوان كتبت العبارة الآتية:ــ

حسبه ربه وكفى. وتحتها كلمات غير واضحة وختم محيت كتابته.

وتحت العنوان كتبت أربعة أبيات شعرية كالآتي:ــ

ولبعضهم رحمه الله تعالى:ــ

قلت للفقر أين أنت مقيم ... فأجابني في منزل الفضلاء[1]

أن بيني وبينهم لأخاء ... وعزيز عليّ ترك الإخاء

ردَّ عليه بعضهم:ــ

---

[1] ــ يلحظ ان بين الشطرين اختلافاً، فالأول من الخفيف والثاني من الكامل.

لا جزى الله عني الفقير خيراً حيثُ يَمَّمت كان منه نائي

كلما جزت بالصديق تنائى ليس لي ذنب غير فقد غنائي

****

منهج التحقيق:ـ

١ــ قارنت النص بالكتب التي نقل عنها المؤلف، وثبتُ ذلك في الحواشي. وجعلت الروايات المقتبسة بين قوسين.

٢ــ عرفت بأسماء الأعلام المذكورين في الرسالة.

٣ــ شرحت المفردات اللغوية الصعبة والمصطلحات المهمة.

٤ــ قمت بتخريج الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة والأشعار والنصوص القليلة الأخرى.

٥ــ وضعت بين حاصرتين [ ] ما أضفته الى النص من الأصوب الأخرى ولم يوجد في الأصل الذي أعتمدته.

٦ــ حاولت أن أخرج النص سليماًن قريباً من الاصل الذي كتبه المؤلف، ولم أثقل الحواشي بالأختلاف البسيطة والشروح الطويلة.

وبعد:ــ فالله أسال أن يجعل عملي خالصاً لوجهه، وأن يوفق العاملين في أحياء تراث أمتنا المجيدة، وأن يغفر لي النقص في عملي فالكمال لله وحده، وهو حسبي ونعم الوكيل.

النص

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرشد للإسلام والإيمان، وحبانا بمزيد ألاحسان والعرفان، والصلاة والسلام على من نسخت شريعته الشرائع والأديان، وعلى آله وأصحابه ذوي الأيقان والائتمان فأتوا بالأيمان، وذي العرفان. وبعد:ــ فيقول الفقير مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي: هذه كلمات على سبيل التلخيص والاختصار، تتعلق بالكلام على الإسلام والإيمان، وما قاله الأئمة الأخيار، فاقول وبالله المستعان، ومنه أرجو العفو والغفران: اختلف العلماء الأئمة ومصابيح الأمة في الإيمان والإسلام، وعمومهما وخصوصهما، وهل الأعمال من الإيمان أم لا؟ وقد أكثر العلماء من المتقدمين والمتأخرين القول في ذلك.

وسنذكر ــ إن شاء الله ــ بعض ألفاظ من متفرقات كلامهم، يحصل بها المقصود من ذلك، مع زيادات كثيرة.

قال الإمام الفقيه أبو سليمان الخطابي[٢] رحمه الله:ــ في كتابه ((معالم السنن))[٣] ما أكثر ما يغلط الناس في هذه المسألة، فأما الزهري فقال[٤] الإسلام كلمة، والإيمان العمل، واحتج بالآية، يعني قوله سبحانه وتعالي: ﴿**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾[٥] وذهب عيره الى أن الإسلام والإيمان شيء واحد. وأحتجّ بقوله تعالى: ﴿**فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ* فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[٦].

قال الخطابي[٧]: وقد تكلم في هذا الباب رجلان من كبراء أهل العلم، وصار كل واحد منهما الى قول من هذين[٨]. وردّ الآخر منهما على المتقدم، وصنف عليه كتاباً يبلغ عدد

---

٢ ــ الفقيه الاديب حمد بن محمد بن ابراهيم بن خطاب البستي ــ ت ٣٨٨هـ/ تذكرة الحفاظ ١٠١٨/٣.

٣ ــ معالم السنن تحقيق احمد شاكر والفقي. دار المعرفة بيروت ٣١٥/٤.

٤ ــ الإمام الحافظ ابو بكر محمد بن مسلم القرشي ت١٢٤هـ تذكرة الحفاظ ١٠٨/١.

٥ ــ الحجرات: الآية ٤١.

٦ ــ الذرايات: الآية ٣٥ ــ ٣٦.

٧ ــ معالم السنن ٣١٥/٤.

٨ ــ في م. ن: ــ ــ الى مقاله في هاتين المقالتين.

أوراقه [المائتين][٩] قال الخطابي: والصحيح من ذلك أن يقيد الكلام في هذا، ولا يطلق على [أحد الوجهين][١٠] وذلك أن المسلم قد يكون مؤمناً في بعض الأحوال، ولا يكون مؤمناً في بعضها. والمؤمن مسلم في جميع الأحوال، فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً.

فإذا حملت الأمر على هذا استقام لك تأويل الآيات، وأعتدل القول فيها، ولم يختلف [عليك][١١] شيء منها.

وأصل الإيمان التصديق، وأصل الإسلام الاستسلام والانقياد، فقد يكون المرء مستسلماً في الظاهر غير منقاد في الباطن، وقد يكون صادقاً في الباطن غير منقاد في الظاهر[١٢]. وقال الخطابي[١٣] ايضاً في قوله ــ ﷺ ــ: (الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة) وفي هذا الحديث بيان أن الإيمان اسم لمعنى ذي شُعب وأجزاء، وأدنى وأعلى. فالأسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها، والحقيقة تقتضي جميع شعبه، وتستوفي جملة أجزائه[١٤]، كالصلاة الشرعية لها شعب وأجزاء، والاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها، والحقيقة تقتضي جميع أجزائها، وتستوفيها، ويدلُّ على ذلك قوله ــ ﷺ ــ : (الحياء شعبة من الإيمان)[١٥] [فأخبر أن الحياء أحدى تلك الشُّعب][١٦] وفيه[١٧] أثبات التفاضل في الإيمان، وتباين المؤمنين في درجاته. وهذا آخر كلام الخطابي[١٨].

وقال الشيخ الإمام أبو عمرو ابن الصلاح[١٩]، رحمه الله تعالى: قوله ــ ﷺ ــ: (الإسلام أن تشهد أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتِ الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجّ البيت أن استطعت إليه سبيلا، والإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)[٢٠] قال: هذا بيان لأصل الإيمان، وهو التصديق الباطن،

---

[٩] ــ ما بين الحاصرتين من معالم السنن.

[١٠] ــ ما بين الحاصرتين من معالم السنن.

[١١] ــ ما بين الحاصرتين من معالم السنن.

[١٢] ــ في معالم السنن: ولا يكون صادق الباطن غير منقاد في الظاهر، وفي شرح النووي ١٤٥/١ وقد يكون صادقاً.

[١٣] ــ معالم السنن ٣٥١/٤.

[١٤] ــ في الخطابي: جميع شعبها.. وأجزائها.

[١٥] ــ صحيح مسلم م٤٦/١ ومختصر صحيح مسلم للمنذري ص١٥.

[١٦] ــ ما بين الحاصرتين تكملة من الخطابي.

[١٧] ــ في م. ن: وفي هذا الباب اثبات.

[١٨] ــ نص الخطابي ورد في صحيح مسلم بشرح النووي ١٤٤/١.

[١٩] ــ الإمام الحافظ تقي الدين عثمان بن المفتي صلاح الدين عبدالرحمن الكردي الشهرزوردي الشافعي المعروف بابن الصلاح توفي سنة ٦٤٣هـ ، تذكرة الحفاظ ١٤٣٠/٤.

[٢٠] ــ فتح الباري ٦٨/١.

وبيان لأصل الإسلام، وهو الاستسلام والانقياد الظاهر، وحكم الإسلام في الظاهر ثبت بالشهادتين، وإنما أضاف إليهما الصلاة والصوم والزكاة والحجّ لكونها أظهر شعائر الإسلام واعظمها، وبقيامه بها يتم استسلامه (/١ظ.)، وتركه لها يشعر بأنحلال قيد انقياده أو أختلاله.

ثم أن اسم الإيمان يتناول مافسر به الإسلام في هذا الحديث وسائر الطاعات، لكونها ثمرات للتصديق الباطن الذي هو أصل الإيمان، ومقومات ومتممات وحافظات له.

ولهذا فسر ــ ﷺ ــ الإيمان في حديث وفد عبد القيس[٢١] بالشهادتين والصلاة والزكاة وصوم رمضان وأعطاه الخُمس من الغنائم. ولهذا لا يقع اسم المؤمن المطلق على من ارتكب كبيرة، أو ترك فريضة[٢٢]، لان اسم الشيء مطلقاً يقع على الكامل منه، ولا يستعمل في الناقص ظاهراً الا بقيد، ولذلك جاز أطلاق نفيه عنه في قوله ــ ﷺ ــ ،(لا يسرق السارقُ حين يسرقُ وهو مؤمن)[٢٣].

واسم الإسلام يتناول ايضاً ماهو أصل الإيمان وهو التصديق الباطن، ويتناول أصل الطاعات، فان ذلك كله استسلام.

قال: فخرج مما ذكرنا وحققناه أن الإيمان والإسلام يجتمعان ويفترقان، وان كل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً.

قال: وهذا تحقيق فائق[٢٤] التوفيق بين متفرقات [نصوص][٢٥] الكتاب والسنة الواردة في الإيمان والإسلام التي طالما غلط فيهما الخائضون. وما حققناه من ذلك موافق لمذهب جماهير العلماء من أهل الحديث وغيرهم[٢٦]. وهذا آخر كلام الإمام أبن الصلاح[٢٧]. قال الإمام أبو

---

٢١ ــ عن ابن عباس قال: قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله أنا هذا الحي من ربيعه وقد حالت بيننا وبينك كفاتر مظر فلا نخلص اليك إلا في الشهر الحرام، فمرنا نعمل به وندعوا من وراءنا، فقال عليه الصلاة والسلام: امركم بأربع وانهاكم عن اربع: الإيمان ثم فسرها لهم، فقال: شهادة أن لا اله إلا الله وان محمداً رسول الله، واقام الصلاة، وأيتاء الزكاة، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم، وكان وفد عبد القيس هؤلاء تقدموا قبائل عبد القيس للمهاجرة الى رسول الله ﷺ وكانوا اربعة عشر راكباً، إلا شج العصري رئيسهم، صحيح مسلم بشرح النووي ١٨١/١.

٢٢ ــ في النووي: او بدل.

٢٣ ــ جزء من حديث في اللؤلؤ والمرجان ١٢/١، وتكملته: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق.

٢٤ ــ في النووي: وافر التوفيق.

٢٥ ــ ما بين الحاصرتين تكملة من النووي.

٢٦ ــ نص كلام ابن الصلاح غير موجود في كتابه (مقدمة ابن الصلاح في علوم القرآن) وهو في النووي ١٤٧/١.

٢٧ ــ في النووي: الشيخ ابي عمرو بن الصلاح.

محمد الحسين البغوي[٢٨] في حديث سؤال جبريل ــ عليه السلام ــ عن الإيمان والإسلام وجوابه قال:

جعل النبي ــ ﷺ ــ الإسلام اسماً لما ظهر من الأعمال، وجعل الإيمان اسماً لما بطن من الاعتقاد، وليس ذلك كذلك[٢٩]. لأن الأعمال ليست من الإيمان والتصديق بالقلب ليس من الإسلام، بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد، وجماعها الدين ولذلك قال النبي ــ ﷺ ــ :(ذاك جبريل أتاكم يُعَلِّمكم دينكم)[٣٠]، والتصديق والعمل يتناولهما اسم الإيمان والإسلام جميعاً، يدلَ عليه قوله ــ سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ**﴾[٣١]، ﴿**وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً**﴾[٣٢] ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ**﴾[٣٣] فأخبر ــ سبحانه وتعالى ــ أن الدين الذي رضيه وقبله من عباده هو الاسلام، ولا يكون الدين في محل القبول والرضا إلا بانضمام التصديق الى (٢و٠) العمل هذا كلام البغوي[٣٤]. وقال الإمام أبو عبدالله محمد بن اسماعيل بن محمد بن محمد بن الفضل التيمي[٣٥] الشافعي ــ رحمه الله ــ في كتاب التحرير في شرح صحيح مسلم[٣٦]: الإيمان في اللغة هو التصديق، وفي لسان الشرع: هو التصديق بالقلبِ، والعملُ بالأركان. قال: فالخلاف في هذا على التحقيق إنما هو في المصدق بقلبه اذا لم يجمع الى تصديقه العمل. بموجب[٣٧] الإيمان. هل يسمى مؤمناً مطلقاً أو لا؟ والمختار عندنا أنه لا يسمى به. قال الرسول ــ ﷺ ــ: (لا يزْني الزانِي حينَ يَزْنِي، وهو مُؤْمنٌ)[٣٨]. لأنه لم يعمل بموجب الإيمان فيستحق هذا الإطلاق. انتهى.

---

٢٨ ــ الإمام الحافظ الفقيه ابو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي، توفي سنة ٥١٦هـ ، وهو حجة في الحديث النبوي، تذكرة الحفاظ ١٢٥٧/٤.

٢٩ ــ سقطت (كذلك) من النووي.

٣٠ ــ اللؤلؤ والمرجان٢/١.

٣١ ــ آل عمران: الآية ١٩.

٣٢ ــ المائدة: الآية ٣.

٣٣ ــ آل عمران: الآية ٨٥.

٣٤ ــ نص البغوي في شرح النووي ١٤٥/١.

٣٥ ــ صنف في شرح الصحيح إلا أنه لم يكمله لوفاته سنة ٥٢٦هـ فاتمه والده، طبقات الشافعية للأسنوي ١٤٥/١.

٣٦ ــ في النووي: بمواجب.

٣٧ ــ اللؤلؤ والمرجان ١٢/١.

٣٨ ــ شرح صحيح البخاري، ابن بطال المغربي ٥٢/١.

وقال الإمام أبو الحسن بن بطّال المالكي المغربي في (شرح صحيح البخاري)[٣٩]: المعنى الذي يستحق به العبدُ المدح والولاية من المؤمنين هو إتيانه بهذه الأمور الثلاثة[٤٠]:ـــ التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح[٤١].

وذلك انه لاخلاف بين الجميع انه لو اقرّ وعمل على غير علم منه، ومعرفة بربه لا يستحق[٤٢] أسم مؤمن، ولو عرفه وعمل وجحد بلسانه وكذب ما عرف من التوحيد لا يستحق اسم مؤمن، وكذلك أذا أقر بالله ــ تعالى ــ وبرسله ــ عليهم الصلاة والسلام أجمعين ــ ولم يعمل بالفرائض[٤٣] لا يسمى مؤمناً بالإطلاق. وان كان في كلام العرب يسمى مؤمناً بالتصديق، فذلك غير مستحق في كلام الله ــ تعالى[٤٤] ــ ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ* الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ* أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً**﴾[٤٥] فاخبرنا ــ سبحانه وتعالى ــ: أن المؤمن[٤٦] من كانت هذه صفته. انتهى.

قال المهلب[٤٧]:ــ الإسلام على الحقيقة هو الإيمان الذي هو عقد قلب المصدق لإقرار اللسان، الذي لا ينفع عند الله تعالى غيره ــ انتهى.

هذا حاصل ما قاله هؤلاء الأئمة ونقله الإمام النووي عنهم في شرحه على صحيح مسلم، ولم ينقصهم شيء. وإنا أقول بتوفيق الله ــ عز وجل ــ كما يؤخذ من سوابق كلام الأئمة ولواحقه: إن تحقيق هذه المسألة وتلخيصها أن الإيمان ــ لغة ــ مطلق التصديق، وشرعاً ــ على ما صرح به الاشعرية[٤٨] وأكثر الأئمة. هو تصديق القلب الجازم بما علم ضرورة (٢/ظ.) يجيء الرسول به من عند الله فيما علم تفصيلاً، كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء، وافتراض الصلوات الخمس، والزكاة والصيام والحج، واجمالاً فيما علم إجمالا، والمراد بتصديق القلب بذلك إذعانه وقبوله له، والتكليف به، وان كان من الكيفيات النفسانية دون

---

[٣٩] ــ سقطت من ابن بطال: التصديق.. بالجوارح.

[٤٠] ــ في ابن بطال: المعاني: المعاني الثلاثة.

[٤١] ــ في م. ن: انه لا يستحق.

[٤٢] ــ في م. ن: من توحيد ربه انه غير مستحق.

[٤٣] ــ في م. ن: الفرائض.

[٤٤] ــ في م. ن: قد يجوز ان يسمى بالتصديق مؤمناً فغير مستحق ذلك في حكم الله تعالى.

[٤٥] ــ الانفال: الآية ٢ ــ ٤.

[٤٦] ــ في ابن بطال: ان المؤمن على الحقيقة.

[٤٧] ــ قول المهلب في م. ن. ٧٤/١ والنووي نقلاً عن ابن بطال.

[٤٨] ــ الأشعرية: مذهب كلامي اسلامي، منسوب الى ابي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري، ت ٣٢٤هـ.

الأفعال الاختيارية، إنما التكليف بأسبابه كإلغاء الذهن، وصرف النظر وتوجيه الحواسّ، ورفع الموانع، والذي يدل على أن الإيمان هو التصديق وحده، انه ــ تعالى ــ أضاف الإيمان إلى القلب فقال ــ سبحانه ــ: ﴿**كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ**﴾[٤٩].

﴿**وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ**﴾[٥٠]. ﴿**وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ**﴾[٥١] ﴿**وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾[٥٢].

وعطف عليه العمل الصالح في عدة مواضع، كما في قوله تعالى: ﴿**الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ**﴾[٥٣] وقرنه بالمعاصي فقال: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا**﴾[٥٤]. ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى**﴾[٥٥]. ﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ**﴾[٥٦]

وأما الإسلام لغة فهو مطلق الاستسلام والانقياد، وشرعاً الاستسلام والانقياد والامتثال لأوامر الله ، واجتناب نواهيه. وعلى هذا فهو إعمال الجوارح والطاعات كالتلفظ بالشهادتين، والصلاة والزكاة والحج وغير ذلك، ولهذا فسره النبي ــ ﷺ ــ لما سأله جبريل عنه بقوله: (أن تشهدَ أن لا الهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له وان محمداً عبدُه ورسولهُ، وتقيمَ الصلاة وتؤتِ الزكاة وتحجَّ البيتَ إن استطعت إليه سبيلا)[٥٧] فثبت بهذا تغاير مفهوماً لغة وشرعاً. ومن ثم صح إثبات احدهما وسلب الآخر، فقال ــ سبحانه ــ: ﴿**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا**﴾[٥٨] وساغ عطف احدهما على الاخر فقال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾[٥٩] نظراً لمعناهما اللغويين ومفهومهما الشرعيين، ولذلك ذكر ــ سبحانه وتعالى ــ الصدقة والصوم وغيرهما بعدهما بطريق العطف، مع الإجماع على عدم خروجهما عن الإسلام والإيمان.

واعلم إن أعمال الجوارح التي هي الإسلام لا يُعتدّ بها بحسب حقيقة الأمر وباطن الشرع، ولا تعتبر في الخروج عن عبارة[٦٠] التكليف بالإسلام، إلا مع الإيمان وهو التصديق

---

[٤٩] ــ المجادلة: الآية ٢٢.

[٥٠] ــ النحل: الآية ١٠٦.

[٥١] ــ المائدة: الآية ٤١.

[٥٢] ــ الحجرات: الآية ١٤.

[٥٣] ــ البقرة: الآية ٢٥.

[٥٤] ــ الحجرات: الآية ٩.

[٥٥] ــ البقرة: الآية ١٧٨.

[٥٦] ــ الأنعام: الآية ٨٢.

[٥٧] ــ اللؤلؤ والمرجان ١/ ٢.

[٥٨] ــ الحجرات: الآية ١٤.

[٥٩] ــ الاحزاب: الآية ٣٥.

[٦٠] ــ هكذا رسمت الكلمة.

المذكور، فهو شرط الاعتداد بالعبادات (/٣و٠) فلا ينفك بحسب الحقيقة بالإسلام المعتبر عن الإيمان، وان كان الإيمان المعتبر قد ينفك عنه، كمن اخترمته المنية قبل اتساع وقت التلفظ بالشهادتين اجماعاً، ولا التفات لمن شهد بعد الاتساع، ولم يتلفظ على الراجح كما سيأتي. اذا فهمت هذا التحقيق علمت انه لا يلزم من الإيمان الإسلام، ولا من مطلق الإسلام الإيمان. وقول الأئمة فيما مرّ أن كل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً، لا يخلو إما أن يريجوا بالنظر الى ما عند الله ــ سبحانه وتعالى ــ أو بالنظر الى المعنى اللغوي والمفهوم الشرعي، أو بالنظر الى ما عندنا بحسب ظاهر الشرع، فان ارادوا بالنظر الى ما عند الله سبحانه، فأنت قد عرفت إن أسلام معتبر يستلزم الإيمان، ولا عكس كما مرّ، وهو عكس قولهم. وان ارادوا بالنظر الى المعنى اللغوي والمفهوم الشرعي فلا تلازم بين الإيمان والإسلام، اذ بينهما عموم وخصوص، من وجه يجتمعان في مادة وينفرد كل منهما، فمثال اجتماعهما من آمن حقاً بقلبه وعمل الطاعات بجوارحه كأبي بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ فهذا مؤمن مسلم، ومثال انفراد الإسلام عن الإيمان من عمل بجوارحه ولم يصدق بقلبه كالمنافقين في عهد النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ والزنادقة المعروفين في زمننا بالملا حدة، فهذا مسلم وليس بمؤمن. ومثال انفراد الإيمان عن الإسلام من صدق بقلبه حقاً حقاً ولم يعمل بجوارحه ككثير من موحدي العصاة، فهذا مؤمن وان لم ينطق بالشهادتين وليس بمسلم لعدم اعمال الجوارح.

هذا بالنظر الى المعنى اللغوي والمفهوم الشرعي والى ماهو الواقع للناس. وان ارادوا بالنظر الى ما عندنا بحسب ظاهر الشرع لزم عدم انفكاك احدهما عن الاخر، فكل مسلم مؤمن، وكل مؤمن مسلم، لان الإسلام والإيمان عندنا هو النطق بالشهادتين فقط، فمن أقرّ بهما أجريت عليه أحكام الإسلام في الدنيا، وحكم بأنه مؤمن ولم يحكم عليه بكفر الا بظهور أمارات التكذيب (/ظ٣.) كالسجود للشمس والاستخفاف بنبي أو بمصحف. وعلى هذا فيكون الشخص مسلماً مؤمناً بيننا، كافراً فيما عند الله تعالى، وعكسه اذ تصديق أمر باطن لا اطلاع لنا عليه، ولما كان تصديق القلب امراً باطناً جعله الشارع منوطاً بالشهادتين، فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ كما رواه الشيخان[٦١]: (أُمِرْت ان أقاتِلَ الناسَ حتى يَشْهَدوا أن لا إلــهَ إلا اللهُ، وان محمداً رسولُ اللهِ) وقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأسامة ــ رضي الله عنه ــ حين قتل رجلاً قال: لا اله الا الله: (اَفَلا شَقَقْتَ عن قلبِه)[٦٢].

---

[٦١] ــ اللؤلؤ زالمرجان ٦/١. وتكملة الحديث فيه: ... ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم واموالهم إلا بحق الاسلام وحسابهم على الله.

[٦٢] ــ في اللؤلؤ والمرجان ١٩/١ حديث اسامة بن زيد رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم، والحقت انا ورجلاً من الانصار رجلاً منهم، فلما غشيناه قال: لا اله الا الله فكف الانصاري

فائدة:ــ ذهب جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج[٦٣] إلى أن الإيمان مجموع ثلاثة أمــور. اعتقاد الحق، والإقرار به، والعمل بمقتضاه، فمن أخل بالاعتقاد وحده فهو منافق، ومن اخــل بالإقرار فهو كافر، ومن اخل بالعمل فهو فاسق اجماعاً وكافر عند الخــوارج، وخــارج عــن الإيمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة. والمرجئة قالوا[٦٤]: الإيمان اعتقاد ونطق فقط. والكرامية قالوا[٦٥]

واذا فعل العبد فعلاً لا يدل على الكفر كالفسق، فمن اطلق عليه الإيمان فبالنظر الــى إقراره، ومن نفى عنه الإيمان فبالنظر الى كماله. ومن اطلق عليه الكفر فبالنظر الى انه فعــل فعل الكافر[٦٦].

فصل:

اختلف العلماء، هل النطق بالشهادتين شرط لإجراء أحكام المؤمنين في الدنيا، من الصلاة عليه والتوارث والمناكحة وغيرها، غير داخل في مسمى الإيمان أو جزء منه داخل في مسماه؟.

قولان للعلماء. ذهب الإمام النووي[٦٧] ــ رحمه الله تعالى ــ الى الثاني منهما، فحكى الاتفــاق عليه، فقال في (شرح مسلم)[٦٨]: اتفق أهل السنة من المحدثين والمتكلمين علــى أن المــؤمن الذي يُحكم بأنه من أهل القبلة، ولا يخلد في النار لا يكون إلا من اعتقد بقلبــه ديــن الإســلام اعتقاداً.

جازماً خالياً من الشكوك، ونطق بالشهادتين، فان اقتصر على إحداهما لم يكن من أهل القبلــة اصلاً، إلا اذا اعجز عن النطق لخلل في لسانه أو لعدم التمكن منه، لمعالجة المنيــة أو لغيــر ذلك. فانه يكون حينئذ[٦٩] مؤمناً، (/٤و.) يعني بالاعتقاد من غير لفظ.

وفي دعوى النووي ــ رحمه الله تعالى ــ الاتفاق نظر، بل القولان مشهوران ثابتان.

والذي ذهب اليه جمهور المحققين هو خلاف ما قاله النووي.

عنه، وطعنته برمحي حتى قتلته فلما بلغ النبي ﷺ فقال: يا اسامة اقتلته بعدما قال لا اله الا الله؟! قلــت: كان متعوذاً، فما زال يكررها حتى تمنيت اني لم اكن اسلمت قبل ذلك اليوم.

[٦٣] ــ انظر فرق المعتزلة في (الفرق بين الفرق) ص٤٥ والخوارج ص٦٧.

[٦٤] ــ انظر فرق المرجئة ومقالاتهم في م ن. ص٢٢. ونص قول المرجئة هنا في فتح الباري ٤٤/١.

[٦٥] ــ انظر فرق الكرامية ومقالاتهم في م. ن: ص١٣٠. ونص قولهم هنا في فتح النــاري ٤٤/١. والكراميــة نسبوا الى محمد بن كرام السجستاني المتكلم المبتدع.

[٦٦] ــ نص الكلام ابتداء من (فمن اطلق عليه... الكافر) في فتح الباري ٤٤/١.

[٦٧] ــ الامام النووي محيي الدين ابو زكريا يحيى بن شرف الشافعي الدمشقي. من كبار علماء الشافعية. تــوفي سنة ٦٧٦هــ تذكرة الحفاظ ١٤٧٠/٤.

[٦٨] ــ صحيح مسلم بشرح النووي ١٤٩/١.

[٦٩] ــ سقطت كلمة (حينئذ) من النووي.

فقالوا: النطق بالشهادتين شرط لإجراء الإحكام، لا شطر من الإيمان. قالوا: وعليه فمن صدق بقلبه ولم يقرَّ بلسانه مع تمكنه من الاقرار فهو مؤمن عند الله ــ تعالى ــ.

قلت: ودليل ذلك الحديث الصحيح، وهو قوله ــ ﷺ ــ: (من ماتَ وهو يعلمُ أنَّه لا الــه الا اللهُ دخَلَ الجنَّة)[٧٠].

وقال القاضي عياض[٧١]: وقد يحتج به من يرى أن مجرد معرفة القلب نافعــة، دون النطق بالشهادتين لاقتصاره على العلم[٧٢]. وايضاً لو لم نقل بهذا الكلام فان شخصــين اعتقــد كل واحد منهما دين الإسلام اعتقاداً جازماً خالياً من الشكوك وماتا على ذلك، احدهما خلد فــي النار والأخر في الجنة مع تساويهما في العقيدة الحق الصرفة. ولهذا فحكم الأول مــن أمكنــه النطق بالشهادتين ولم ينطق بهما، والثاني من لم يمكنه لخلل في لسانه مثلا. فان قلــت: عــدم نطقه بهما دليل على عدم إيمانه. قلتُ: هذا خروج عن موضوع المسألة، إذ فرضها فــي مــن إيمانه ثابت قطعاً. وايضاً فالمنجي من عقوبة الدنيا هو الإسلام باللسان، فيكون المنجــي مــن عقوبة الآخرة هو الإيمان بالجنان. فيقتل المرتد ومن لا تقبل منه الجزية مالم يؤمن بلسانه وان لم يؤمن بجنانه. ويخلد في النار من أسلم بلسانه ولم يؤمن بجنانه، إذ هو منافق، والمنافق كافر بنص القرآن. والكافر مخلد في النار إجماعاً.

فأن قلتَ: فمع هذا فأبو طالب[٧٣] من الناجين بدليل انه آمن بجنانه[٧٤]، يدل على ذلــك قوله في النزع:

---

[٧٠] ــ صحيح مسلم ٢١٨/١ ومختصره للمنذري ص١٠.

[٧١] ــ القاضي عياض بن موسى السبتي. تولى قضاء غرناطة سنة ٥٣٢ هــ وتــوفي فــي مــراكش ســنة ٥٤٤هــ. تذكرة الحفاظ ١٣٠٤/٤.

[٧٢] ــ صحيح مسلم بشرح النووي ٢١٩/١.

[٧٣] ــ هو ابو طالب عبد مناف بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي عم رسول الله ﷺ توفي سنة ٣ ق هــ. اختلف في اسلامه. طبقات ابن سعد ٧٥/١.

[٧٤] ــ لما حضرت ابا طالب الوفاة جاء رسول الله ﷺ فوجد عنده ابا جهل وعبدالله بن ابي امية بــن المغيــرة. فقال رسول الله ﷺ: (يا عم، قل: لا اله الا الله. كلمة اشهد لك بها عند الله) فأبى ان يقول: لا اله الا الله.

فقال ابو جهل وعبدالله بن ابي امية: يا ابا طالب اترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة، حتى قال ابو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبدالمطلب. وابــى ان يقول: لا اله الا الله. فقال رسول الله ﷺ: اما والله لأستغفرن لك مالم انهَ عنك. فأنزل الله عز وجــل: **﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُــمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾**.

وأنزل الله تعالى في ابي طالب فقال رسول الله ﷺ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْــدِي مَــن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ، اللؤلؤ والمرجان ٦/١ ومختصر صحيح مسلم للمنذري ٨/١.

ولقد علمت بان دين محمد من خير أديان البريّة دينا[٧٥]

قلتُ: على تقدير صحة هذا القول منه، وصدوره عنه، أو كان في إخباره بدليل عدم تدينه بدين الإسلام، مع الرعاية له من جانب الإمام، وامتهانه لكلام الشارع ــ عليه الصلاة والسلام ــ (٣/ظ.) فهو ممن لاحت عليه إمارات التكذيب، إذ ليس حقيقة إن يقع في القلب نسبة التصديق للخبر أو المخبر من غير إذعان وقبول، لذلك يجب أن يقع عليه اسم التسليم كما صرح بذلك الأئمة ــ رحمهم الله تعالى ــ فتأمل ومما ينبغي التنبيه له هو إن الذي يشترط لصحة الإيمان النطق بالشهادتين، فلعل كلامه مخصوص بكافر الاصل، والا فالفقهاء مصرحون حاكمون بصحة الإسلام تبعاً من غير نكير بينهم.

فتأمل تحقيقاً لا تراها مسطورة في غير هذا الكتاب. بل هي مما فتح بها على عبده الفتاح الوحاب. باب هل الإيمان يزيد وينقص؟

وقد وقع في هذه المسألة بين الأئمة خلاف كبير ونزاع كثير، ومذهب الجمهور أن الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. وأخرجه ابو نعيم[٧٦]، وكذا الحاكم[٧٧]. عن الإمام الشافعي بلفظ: الإيمانُ قولٌ وعملٌ ويزيدُ وينقُص[٧٨]. وبه قال الإمام احمد بن حنبل، واسحق بن راهوية[٧٩]. وقال بعض الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ عمر بن الخطاب، وعلي بن ابي طالب، وابن مسعود[٨٠]، ومعاذ[٨١]، وابو الدرداء[٨٢]، وابن عباس، وابن عمر[٨٣]، وعمار[٨٤]، وابو

---

[٧٥] ــ البيت في البداية والنهاية لأبن كثير ٤٣/١. وصدره فيه: وعرضت ديناً قد عرفت بأنه....

[٧٦] ــ الإمام الشافعي الحافظ أبو نعيم احمد بن عبدالله المهراني الاصبهاني توفي سنة ٤٣٠هـ بأصبهان. تذكرة تذكرة الحفاظ ١٠٩٢/٣.

[٧٧] ــ ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن حمدويه النيسابوري. من اهل العلم وحفظ الحدديث. وله فيه مصنفات. توفي سنة ٤٠٥هـ تذكرة الحفاظ ١٠٤٠/٣.

[٧٨] ــ فتح الباري ٤٤/١:ــ قال الحاكم في مناقب الشافعي، عن الربيع قال: سمعت الشافعي يقول: الايمان قول وعمل، ويزيد وينقص، واخرجه ابو النعيم في ترجمة الشافعي من الحلية (كتاب حلية الاولياء) من وجه آخر عن الربيع وزاد: يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. ثم تلا: (ويزداد الذين آمنوا... الآية).

[٧٩] ــ اسحق بن ابراهيم بن مخلد الحنظلي المعروف بابن راهوية النيسابوري، جمع بين الحديث والفقه، توفي بنيسابور سنة ٥٢٣هـ. تهذيب التهذيب ٢١٦/١.

[٨٠] ــ عبدالله بن مسعود.

[٨١] ــ معاذ بن جبل.

[٨٢] ــ عويمر بن زيد وقيل عبدالله.

[٨٣] ــ عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب.

هريرة[٨٥]، وحذيفة[٨٦]، وعائشة. وغيرهم ــ ﷺ ــ ومن التابعين: كعب الأحبار[٨٧]، وعروة[٨٨]، وطاووس[٨٩]، وعمر بن عبدالعزيز.

وقال عبدالرزاق[٩٠]، سمعت من أدركت من شيوخنا وأصحابنا: سفيان الثوري، ومالك بن انس، وعبيد الله بن عمر، والاوزاعي، ومعمر بن راشد، وابن جريج، وسفيان بن عيية ــ ﷺ ــ يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص وهذا قول ابن مسعود وحذيفة والنخعي والحسن البصري وعطاء وطاووس ومجاهد وعبدالله بن المبارك.

وصح عن البخاري انه قال[٩١]: لقيت أكثرب من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت احداً منهم يختلف في: أن الإيمان قولٌ وعملٌ، ويزيد وينقص.

وقال أبو عبيد[٩٢]: هو قول مالك والثوري والاوزاعي ومن بعدهم من أرباب العلم والسنة الذين كانوا مصابيح الهدى (/٥و.) وأئمة الدين من أهل الحجاز والعراق والشام وغيرهم[٩٣]. وقال بعضهم[٩٤]: إنما توقف الإمام مالك ــ ﷺ ــ عن القول بنقصان الإيمان خشية أن يتأول عليه موافقة الخوارج الذين يكفرون أهل المعاصي من المؤمنين بالذنوب، وقد قال مالك بنقصان الإيمان مثل قول جماعة أهل السنة: وقال ابن بطال في شرح صحيح البخاري[٩٥]: ومذهب جماعة أهل السنة [من سلف الأمة][٩٦] وخلفها أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، والحجة على زيادته ونقصانه ما أورده البخاري من الآيات.

---

[٨٤] ــ عبدالله بن عمر بن الخطاب.

[٨٥] ــ عمار بن ياسر.

[٨٦] ــ عبدالرحمن بن صخر ولقبه ابو هريرة.

[٨٧] ــ حذيفة بن اليمان.

[٨٨] ــ كعب بن ماتع الحميري.

[٨٩] ــ عروة بن الزبير بن العوام.

[٩٠] ــ طاووس بن كيسان الخولاني.

[٩١] ــ ابو بكر عبدالرزاق بن همام بن نافع من رواة الحديث، توفي في اليمن سنة ٢٢١هـ. ونص قوله في فتح الباري ٤٤/١ والنووي ١٤٦/١ وابن بطال ٥١/١.

[٩٢] ــ النص في فتح الباري ٤٤/١.

[٩٣] ــ ابو عبيد القاسم بن سلام اللغوي المعروف ومؤلف (غريب الحديث) توفي سنة ٢٢٣هـ نزهة الالباء ص١٠٩.

[٩٤] ــ النص في ابن بطال ٧٢/١.

[٩٥] ــ النص في شرح النووي ١٤٦/١.

[٩٦] ــ شرح ابن بطال على صحيح البخاري ٥٠/١.

يعني قوله تعالى: ﴿ **لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ**﴾[٩٧] قوله تعالى: ﴿**وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**﴾[٩٨] وقوله تعالى: ﴿**وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى**﴾[٩٩] وقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى**﴾[١٠٠] وقوله تعالى: ﴿**وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانا**﴾[١٠١] وقوله تعالى: ﴿**أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً**﴾[١٠٢] وقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّه**﴾[١٠٣] وقوله تعالى: ﴿**وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً**﴾[١٠٤] قال ابن بطال[١٠٥]: فإيمان من لم تحصل له الزيادة ناقص، فإذا تقرر ما ذكرناه من مذاهب السلف والخلف الأئمة فهي متظاهرة متطابقة على كون الإيمان يزيد وينقص.

وقال آخرون: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص لما مرّ من انه التصديق القلبي الذي بلغ حدّ الجزم والإذعان، وهو لا يتصور في زيادة ولا نقصان، حتى أن من حصلف له حقيقة التصديق فسواء عمل الطاعات أو أرتكب المعاصي فتصديقه لا تغير فيه اصلاً. والآيات الدالة على الإيمان محمولة على زيادته في عصر النبي ــ ﷺ ــ بزيادة ما يؤمنون به، مما يتجدد من الفرائض قال الإمام أبو عبدالله محمد بن اسماعيل التيمي الاصبهاني[١٠٦]. الإيمان في اللغة هو التصديق، فان عني به ذلك فلا يزيد ولا ينقص، لان التصديق ليس شيئاً يتجزأ حتى يتصور كماله مرة ونقصه أخرى. وقال ابن بطال[١٠٧]: وأما التصديق بالله تعالى ورسوله ــ ﷺ ــ فلا ينقص، ولذلك توقف مالك ــ رضي الله عنه ــ في بعض الروايات عن القول

---

[٩٧] ــ ما بين الحاصرتين تكملة من ابن بطال.

[٩٨] ــ سورة الفتح: من الآية ٤.

[٩٩] ــ سورة الكهف: من الآية ١٣.

[١٠٠] ــ سورة مريم: من الآية ٧٦.

[١٠١] ــ سورة محمد: من الآية ١٧.

[١٠٢] ــ سورة المدثر: من الآية ٣١.

[١٠٣] ــ سورة التوبة: من الآية ١٢٤.

[١٠٤] ــ سورة آل عمران: من الآية ١٧٣.

[١٠٥] ــ سورة الاحزاب: من الآية ٢٢.

[١٠٦] ــ النص في النووي ٢٦١/١ قال: وقال الامام ابو عبدالله محمد بن اسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الاصبهاني الشافعي في كتابه (التحرير في شرح صحيح مسلم) وانظر ترجكته في طبقات الشافعية للأسنوي ٣٦١/١ حيث قال: الف قطعة من شرح صحيح مسلم ولم يتمه لوفاته فأتمه والده عند قبره..

[١٠٧] ــ ابن بطال ٥١/١.

بالنقصان [فيه][١٠٨] إذ لا يجوز (/ظ٥.) نقصان التصديق لأنه أذا[١٠٩]. نقص صار شاكاً وخرج من الإيمان.

وعلى هذا القول أكثر المتكلمين والفقهاء في زيادته ونقصانه، وقالوا: متى قبل الزيادة كان شكاً وكفراً. وقال الإمام النووي[١١٠]: قال المحققون من أصحابنا المتكلمين نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص، والإيمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة ثمراته، وهي الأعمال ونقصانها. قالوا: وفي هذا توفيق بين ظواهر النصوص التي جاءت بالزيادة، وأقاويل السلف وبين أصل وضعه في اللغة [وما عليه المتكلمون][١١١] وهذا الذي قاله هؤلاء، وان كان ظاهراً حسنا، فالاظهر ــ والله اعلم ــ أن نفس التصديق يزيد بكثرة النظر، وتظاهر الأدلة ولهذا يكون إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم بحيث لا تعتريهم الشَّبَه ولا يتزلزل إيمانهم بعارض، بل لا تزال قلوبهم منشرحة نيرة، وان اختلفت عليهم الأحوال. وأما غيرهم من المؤلفة قلوبهم ونحوهم فليسوا كذلك.

وهذا مما لا يمكن إنكاره، ولا يتشكك عاقل في إن نفس تصديق أبي بكر [الصديق][١١٢] ــ رضي الله عنه ــ لا يساويه تصديق آحاد الناس، ولهذا قال البخاري في صحيحه قال ابن أبي مليكة[١١٣]: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ كلهم يخاف النفاق على نفسه، وما منهم احد يقول انه على إيمان جبريل وميكائيل. انتهى كلام النووي.

ويؤيده كما قال الحافظ ابن حجر[١١٤]: إن كل واحد يعلم أن ما في قلبه يتفاضل، حتى انه يكون في بعض الأحيان الإيمان أعظم يقيناً واخلاصاً وتوكلاً منه في بعضها، وكذلك في التصديق والمعرفة حسب ظهور البراهين وكثرتها[١١٥]. انتهى. قال ابراهيم خليل الرحمن ــ عليه الصلاة والسلام ــ: ﴿**وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**﴾[١١٦] أي ليزداد بصيرة وسكوناً بمشاهدة العيان، فأن عين اليقين فيه طمأنينة ليست في علم اليقين. ولأنا لا نشك في إن تصديق الأنبياء

---

[١٠٨] ــ ما بين الحاصرتين من ابن بطال.

[١٠٩] ــ في ابن بطال: لانه ان نقص صار شكاً وانتقل عن اسم الايمان.

[١١٠] ــ النووي: ١٢٨/١.

[١١١] ــ ما بين الحاصرتين من النووي.

[١١٢] ــ ما بين الحاصرتين تكملة من النووي.

[١١٣] ــ ابو بكر او محمد عبدالله بن عبيد الله بن ابي مليكة زهير القرشي توفي سنة ١١٧هـ. تذكرة الحفاظ ١٠١/١.

[١١٤] ــ ابن حجر العسقلاني مؤلف فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

[١١٥] ــ النص في فتح الباري ٤٤/١.

[١١٦] ــ سورة البقرة: من الآية ٢٦٠.

ــ عليهم الصلاة والسلام ــ أعلى وأكمل من تصديق غيرهم. اذا علمت القول بزيادة الإيمان القلبي على الراجح، والإيمان القولي والعملي اجماعاً، فكن أيها المخاطب (/٦و.) في فني عمرك في تحصيل مزيد من الإيمان بإخلاص النية وحسن اليقين وصدق التوكل، وكثرة الصلاة، والطاعات المفروضة والمندوبة، وترك ما للنفس من شهوات نفسانية وبهيمية محرمة أو مكروهة.

وإياك ثم ياك أن يقع منك نقص في إيمانك بارتكاب معصية من معاصي الله ــ تعالى ــ فتقع في خسران عمرك النفيس الذي لا يعدل لحظة منه الدنيا وما فيها، وهو رأس مالك الذي تربح فيه السعادة الأبدية والعيشة المرضية، بل كن دائماً ساعياً في صفاء قلبك من الكدورات البشرية، ذا تجديد له، فكلما صفيته من كدر وجدت فيه كدراً آخر من جنسه، أو من غيره سعيت في تنقيته منه، حيث لا يزال قلبك صافياً وأنت بالاجتهاد في اصلاحه ساعياً بكثرة الصفاء والطاعة، وترك شهوات النفس. فكلما تحركت الى شهوة فتداركها ببصيرتك، وقومها بصدق الالتجاء الى مولاك، وكن مستنصراً برأيك على قلبك، مستعيناً بقلبك على نفسك، فبدوام تصفيتك جمعيتك (كذا). واكثر الصوفية على أن الصوفي إنما سمي بذلك لكثرة تصفيته قلبه.

قال سهل بن عبدالله[١١٧]: الصوفي من صفا من الكدر وامتلأ من العبر، وانقطع الى الله عن البشر، وتساوى عنده الذهب والمدر.

فالله ــ سبحانه وتعالى ــ يجعلنا منهم آمين.

خاتمة

وقع بين الأئمة في صحة إيمان المقلد نزاع كثير، وخلاف كبير، والراجح عند المحققين صحة إيمانه، قال بعضهم: أن من قال بإيمان المقلد هم أهل السنة.

ومن لم يقل به متفقون على أن مقابل التقليد هو الاستدلال بالأثر على المؤثر، وبالمصنوع على الصانع ولا يلزم منه الاقتدار على إيراد الحجج، ودفع الشبه لو اعترض عليه مبتدع، بل ذلك من فروض الكفاية، حينئذ لم يوجد بين المسلمين مقلد قط. إذ جهاتهم رعاة وسكان البوادي إذا رأى شيئاً عجيباً يقول سبحان من (/٦ظ.) خلقه. وهذا منهم استدلال على موجد العالم. فكيف بمن نشأ بين العلماء والوعاظ، ولازم الجماعة والجمعة.

وقال السعد التفتزاني[١١٨] في (شرح المقاصد):

---

[١١٧] ــ ابو محمد سهل بن عبدالله بن يونس التستري. كان صالحاً، صاحب كرامات. توفي سنة ٢٨٣هـ حلية الأولياء ١٨٩/١.

ليس الخلاف في هؤلاء الذين نشؤوا في ديار الإسلام من الأمصار والقرى والصحارى)[١١٩] ولا

الذين[١٢٠] يتفكرون في خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار. فإن هؤلاء كلهم من أهل العقل والاستدلال[١٢١]. بل في من نشأ على شاهق جبلٍ[١٢٢]، ولم يتفكر في ملكوت السموات والأرض، واخبره ما يجب، وصجقه عليه اعتقاده بمجرد إخباره من غير تدبر وتفكر[١٢٣]، والله سبحانه وتعالى أعلم.

نسأله ــ سبحانه ــ أن يجعلنا به من العارفين، وبعفوه في الدارين من الفائزين، وبما لدينا من الموقنين. وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين. وعلى آله وصحبه، أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

تمَّ

المصادر:

١ــ البداية والنهاية ــ لأبن كثير ــ القاهرة ــ مصر.

٢ــ تذكرة الحفاظ ــ لشمس الدين الذهبي. دار صادر ــ بيروت .١٩٥٦

٣ــ حلية الأولياء ــ أبو نعيم الاصبهاني ــ القاهرة ١٣٥١هـ.

٤ــ خلاصة الأثر في أعيان القرى الحادي عشر ــ النحبي. دار صادر. بيروت.

٥ــ شرح ابن بطال البكري القرطبي على صحيح البخاري. تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا. دار الكتب العلمية. بيروت ٢٠٠٣م.

٦ــ شرح المقاصد ــ الامام مسعود بن عمر الشهير بسعد الدين التفتازاني. تحقيق د. عبدالرحمن عميره ــ منشورات الشريف الرضي ط١ــ ١٩٨٩م.

٧ــ صحيح البخاري ــ الإمام البخاري. مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده. القاهرة.

٨ــ صحيح مسلم بشرح النووي دار أحياء التراث العربي. بيروت ط٢ ــ ١٩٧٢م.

---

[١١٨] ــ هو سعد الدين التفتازاني مسعود بن عمر. حجة مشهور في البلاغة والمنطق وما وراء الطبيعة وغيرها من العلوم. توفي في سمرقند سنة ٧٩٣هـ.

[١١٩] ــ في شرح المقاصد:... الصحارى وتواتر عندهم حال النبي ﷺ وما اوتي به من المعجزات.

[١٢٠] ــ ف م. ن: ولا في الذين.

[١٢١] ــ في شرح المقاصد: فانهم كلهم من اهل النظر والاستدلال.

[١٢٢] ــ في م. ن. جبل مثلا.

[١٢٣] ــ في م. ن: فأخبره انسان بما يفترض عليه اعتقاده وصدقه فيما اخبره بمجرد اخباره من غير تفكر وتدبر.

٩ــ طبقات الشافعية ــ الأسنوي. تحقيق د. عبد الله الجبوري. نشر ديوان الأوقاف. بغداد ــ ١٩٧٠م.
١٠ــ فتح الباري ــ شرح صحيح البخاري. ابن حجر العسقلاني. تقديم السيد صقر. دار الكتاب الجديد. القاهرة ١٣٨٩هـ.
١١ــ الفرق بين الفرق ــ عبدالقاهر البغدادي. نشر الكوثري. القاهرة ١٩٤٨م.
١٢ــ اللؤلؤ والمرجان لما أتفق عليه الشيخان. جمعه محمد فؤاد عبدالباقي. المطبعة العصرية. الكويت .١٩٧٧
١٣ــ مختصر صحيح مسلم. للمنذري الدمشقي. تحقيق الألباني المكتب الإسلامي. بيروت دمشق ١٩٨٥م.
١٤ــ مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ــ ابن الصلاح الشرزوري تحقيق صلاح عويضة. دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٣م.
١٥ــ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ــ أبو الجوزي. دار المعارف حيدر أباد الدكن ١٣٦٠هـ.
١٦ــ نزهة الألباء في طبقات الأدباء ــ الألباء الانباري. تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي. مكتبة الاندلس بغداد ١٩٧٠م.